



تعبث الفنانة والكاتبة اللبنانية شذا شرف الدين (1964) في مساحة فنيّة غير آمنة. تستهلك أدوات من فنون مختلفة. رسم، وتصوير فوتوغرافي، وأداء جسدي مباشر، وصحب ذلك كلّ بحث نظري مشفوع بسيرورة التجربة الفنيّة. نستخدم مفردة "الاستهلاك" هنا بمعنى أقرب إلى الأصل اللغوي للكلمة العربيّة، والذي يرجع للنهاية أو "الهلاك" لا الاستخدام فقط، أو التجريب المعقّم، ناهيك عن البريء.

في مشروعها "خفة الشاهد التي لا تحتل، تمارين على صورة ذاتيّة" الذي قدّمت له في اسطنبول مؤخرًا، أوضحت شرف الدين سيرورة البحث الفنّي الذي انتهى بإنجاز 28 صورة فوتوغرافيّة ذاتيّة لوجهها. عملت المؤدّبة اللبنانية على لوحات فرنسيس بيكون (1909-1992) لوجوه أو رؤوس مشوّهة بطريقة لا بدّ وأن تثير شيئاً من الفزع في قلب ناظرها، وهو الفزع ذاته الذي دعاها إلى ربط لوحات بيكون في مشروعها بصور وفيديوهات الأجساد السوريّة المعدّبة، والمتسرّبة عبر الوسيط الإلكتروني من خلف الحدود السوريّة شديدة القرب من مقرّ إقامتها في العاصمة اللبنانيّة.

عبر تلك التجربة ثلاثيّة الأضلاع. لوحات بيكون، صور الجسد السوري المعدّب، وجسد الفنانة نفسه، حاولت شرف الدين إعادة تجسيد وجوه بيكون التي تعكس التشوّه الروحي (بحسب بعض رسائله) عبر وضع طبقات مكياج مختلفة على وجهها ورقبتها، وكذلك عبر استخدام وسائل أخرى للإضاءة واللّون لأخذ أكثر من 1000 صورة فوتوغرافيّة كانت حصيلتها 28 صورة فقط رأت أنّها التعبير الأمثل عن رحلة البحث التي خاضتها.

في محطّته هذه ينجز "خفة الشاهد التي لا تحتل" رحلة مثيرة من المدن والقرى السوريّة الممتّنة، ثمّ عبر بيروت المجاورة حيث أنجزت شرف الدين صورها و "حمّضتها" لتهبط أخيراً في الطرف الأوروبي من مدينة إسطنبول. دون أن ننسى طبعاً الأصل البريطاني للوحات فرنسيس بيكون على الطرف الغربي للقارّة العجوز.

### خفة الشاهد، ثقل الفنّان

تنجز شرف الدين في عنوان مشروعها تناصاً واضحاً مع رواية ميلان كونديرا الشهيرة "خفة الكائن (أو الوجود) التي لا



تحتمل". في الرواية يقارب الكاتب التشيكي مفهوم الخفة عبر شخصيات "تيريزا" و"توماس" و"ساينا" و"سيمون" عبر ارتباطها بالحب، وتحولات التاريخ.

لكن، لا حبّ في الأجساد السورّية المشوّهة. فقط انعكاس لهمجّية البشر (النظام الأسدي) بأشع صورها. علاقتنا مع تلك الهمجّية، أو معرفتنا التاريخية بها لا تحضر بوضوح في مشروع شذا، بل تصلنا عبر معلومات عن سيرورة عملها قدّمتها الفنّانة عبر نص شارح مطبوع، أو مُلقى من قبلها.

الخفة هنا (بحسب شرف الدين) هي خفة النجاة من التعذيب وعدم التعرّض له، وهي لا تُحتَمَل بسبب كمون العجز الذي تحمله، العجز عن إنقاذ الضحية ومساعدتها، أما الثقل فتتعرّض له كمتلقّين محتاجين لنص شارح، أو حضور فيزيائي لشذا الشارحة لتخبرنا عن علاقتها بصور الأجساد السورّية، لأنّ الصور الفوتوغرافيّة ذاتها في شكلها الأخير تحمل الكثير من الألم، وجماليّة الصنعة الفنيّة، وبالتأكيد جرعة الفرع الذي تحمله لوحات يكون الأصليّة. لكنّها لا تحمل أي ارتباط بصورة الجسد السوري مستقل عن النص الشارح، أو المعلومات الخارجية القسريّة، وبذلك تنفرد الصور المنجزة بخفة زمنيّة مستقلّة عن الثقل "المصطنع" لسياق إنتاجها في المشروع.

### دمشق، بيروت، اسطنبول

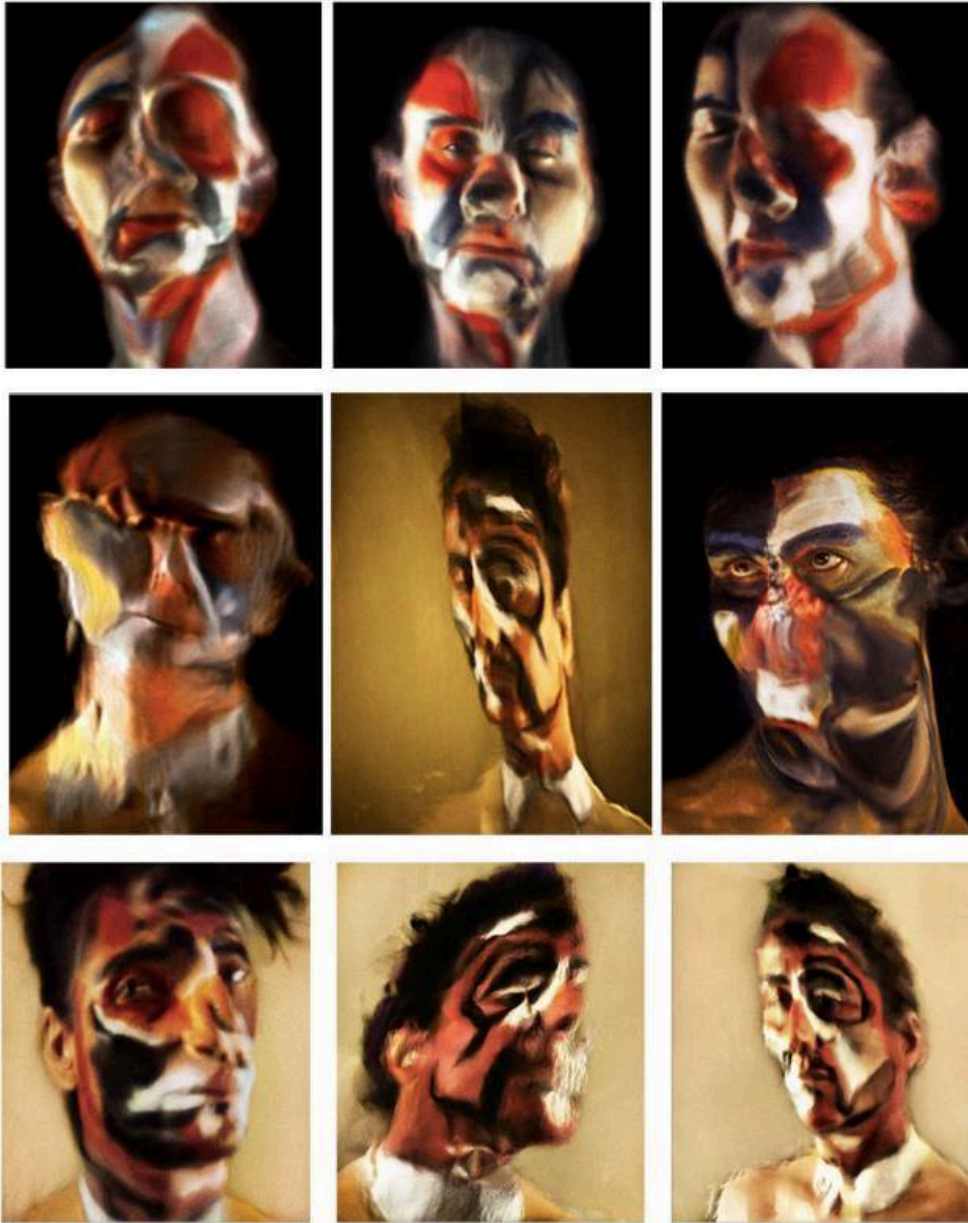
مع تعدّد طبقات المشروع يبقى بُعد أخير لحضوره الإسطنبولي، بتنظيم من مركز هامش "البيت الثقافي السوري في إسطنبول" واستضافة من مركز "سالت غالاتا" للفنون، فعلى الرغم من الحضور الضئيل على مستوى العدد إلا أنّ ليلة استضافته تعدّ من الليالي القليلة التي تستضيف فيها المدينة التركيّة الواسعة أياً من الفعاليات الثقافيّة أو الفنيّة العربيّة، ذلك على الرغم من الحضور العربيّ الكثيف في المدينة، حيث يتمفصل ضعف الحضور الفنّي العربي في المدينة مع الحواجز الثقافيّة التي ترفعها اللّغة، وأحوال الواقع السياسي والاقتصادي في تركيّا.

في محطّته هذه ينجز "خفة الشاهد التي لا تحتمل" رحلة مثيرة من المدن والقرى السورّية الممتّنة، ثمّ عبر بيروت المجاورة حيث أنجزت شرف الدين صورها و "حمّضتها" لتهبط أخيراً في الطرف الأوروبي من مدينة إسطنبول. دون أن ننسى طبعاً الأصل البريطاني للوحات فرانسيس بيكون على الطرف الغربي للقارّة العجوز.



في حضوره الإسطنبولي يشكّل المشروع توسعة صغيرة في جدران شرنقة العزلة الثقافيّة المتعبّة التي تلفّ الثقافة العربية بالعموم، والسورية بالخصوص، كون المدينة تنفرد بجالية سورّيّة ربّما تكون الأكبر بين مثيلاتها في العالم أجمع، مع ضعف في التمثيل الثقافي، لا يتناسب بأي حال مع تلك الكثافة السورّيّة بما تحمله من ثقل، أو خفة.

The Unbearable Lightness Of Witnessing  
*Studies Of A Self - Portraits*

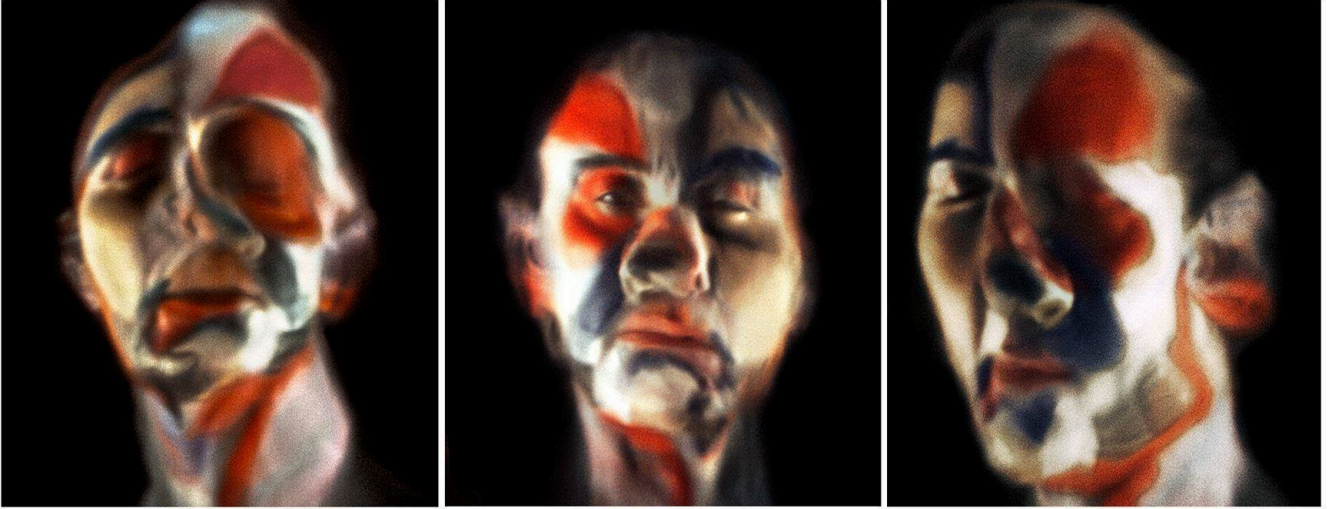


© Chaza Charafeddine

AGIAL  
art gallery

خُعة الشاهد، وثقل الفن: شذا شرف الدين في اسطنبول

وسيم الشرقي



الكاتب: وسيم الشرقي